

أضواء البيان

@ 195 \$ 1 (سورة التغابن) 1 \$.

7 ! 7 ! قوله تعالى : { يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ رُضًا لَّهُ الْعُمْلَاكُ وَلَـهُ الْإِحْمَادُ وَهُوَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ شَدِيدُ الْقَدِيرِ } . تقدم معنى التسبيح ومدلول ما في السماوات وما في الأرض في أول سورة الحشر والحديد ، وهذه السورة آخر السور المفتحة بالتسبيح . والفعل هنا بصيغة المضارع الدال على التجدد والحدوث . والتذييل هنا بصفات الكمال □ تعالى بقوله : { لَـهُ الْعُمْلَاكُ وَلَـهُ الْإِحْمَادُ وَهُوَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ شَدِيدُ الْقَدِيرِ } للإشعار بأن الملك □ وحده لا شريك له : نافذ فيه أمره ماض فيه حكمه بيده أزمة أمره ، كما في قوله تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْعُمْلَاكُ وَهُوَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ شَدِيدُ الْقَدِيرِ } وكقوله في سورة يس : { إِنْ نَزَّلْنَاهُ مِنْ مَّرْثَاهُ إِذْ آتَى أَرْأْدَ شَيْءٍ أَنْ يَقُولَ لَـهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } . ومن قدرته على كل شيء ، وتصريفه لأمر ملكه كيف يشاء ، أن جعل العالم كله يسبح له بحمده تنفيذاً لحكمة فيه ، كما في قوله : { لَـهُ الْإِحْمَادُ فِي الْأَلْوَانِ وَالْأَلْوَانُ خَيْرٌ وَلَـهُ الْإِحْكَامُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ، فجمع الحمد والحكم معاً لجلالة قدرته وكمال صفاته . قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفِينَ أَلْوَانًا وَبَنَاتٍ وَمِنْكُمْ رَوَاحِلٌ خِلَافَ ذَلِكَ وَلَـهُ الْغَايَةُ } . قال الشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه ، في مذكرة الدراسة : المعنى أن □ هو الذي خلقكم وقد رَّعَى على قوم منكم الكفر ، وعلى قوم منكم الإيمان ، ثم بعد ذلك يهدي كلاهما لما قدره عليه كما قال : { وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } فيسر الكافر إلى العمل بالكفر ، ويسر المؤمن للعمل بالإيمان ، كما قال صلى الله عليه وسلم : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ومن المعلوم أن هذا النص من مآزق القدرية والجبرية ، وأن أهل السنة يؤمنون أن كلاهما بقدر □ ومشئته . كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية : وهم أهل السنة وسط بين